سلسلة ثمن الحرية
تأليف السيدة : صالحي شريفة
يوم العلم
و عبد الحميد بن باديس
المكتبة الخضراء

سلسلة ثمن الحرية

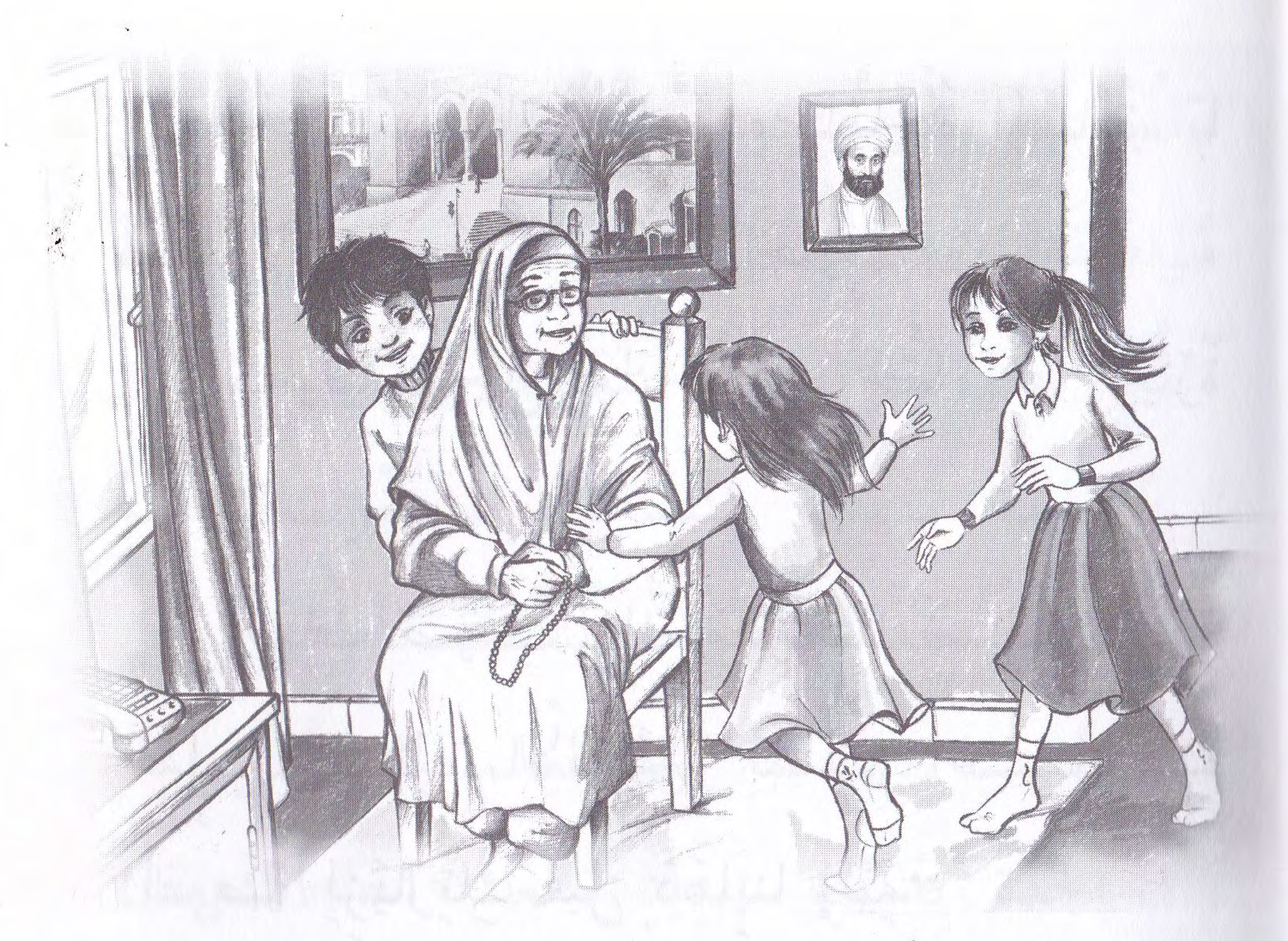
يوم العلم
وعبد الحميد بن باديس

إعداد: السيدة صالحي شريفة





المكتبة الخضراء
للطباعة والنشر والتوزيع
11 شارع الزواوة الشراقة الجزائر
www.bverte.net



دَخَلَ الأَحفَادُ (كَاميليا، رجاء، صهيب) وهُم يَركُضُونَ ويَهْتِفُونَ مُرَدِّدِينَ: صَبَاحُ الخَيرِ، جَدَّتِي.. صَبَاحُ الخَيرِ، يَا جَدَّتِي.

الجدّة: صَبَاحُ الخَير والهَنَاء. أَهْلاً.. أَهلاً، بِأَحِبَّائِي.

جلَس صهيب فِي حِجرِ الجَدَّة، بينما جلَست كاميليا، ورجاء بِجَانِبهَا.

الجدَّةُ مُتَسائِلَة: مَا هَذِهِ المفَاجَأَةُ السَّارَّةُ، يَا أَعِزَّائِي؟ فَاليَومُ لَيسَ يَومَ إِجَازَةٍ؟

كاميليا: أَجَل، يَا جَدَّتِي، حَقًّا إِنَّهَا زِيَّارَةٌ مُفاجِئَة.

أضافَ صهيب: إِنَّ مَدرَسَتَنَا تَستَعِدُّ لإِقَامَةِ حَفلٍ فِي هَذِهِ الأُمسِيَّةِ، لذلك اغتنمنا هَذه الفرصةَ لِزِيَارَتِكِ قبل ذهَابِنا إِليْه.

أَضَافَت كاميليا: يُقَالُ، يَا جَدَّتِي: إِنَّ الحَفْلَ كَبِيرٌ، سَتُعرَضُ فيه بعضُ أَعمَالِ ونَشَاطَاتِ التَّلَامِيذ المُبْدِعِينَ منهم والمُبتَكِرين، وسوف تُقَامُ مُنَافَسَةٌ فِكريّةٌ، ومُبَارَاةٌ رِيّاضيّة بَينَ مَدرَسَتِنَا، ومَدْرَسَةٍ أُخرَى.

أضافت رجاء: وفِي نِهَايَةِ الحَفلِ تُمنَحُ جوَائِزُ، وشَهَادَاتٌ تَقْدِيّرِيَةٌ لِتَحفِيزِ التّلَامِيذِ الفَائزِينَ،

والمُبدِعِينَ والمُبْتَكِرِينَ، ولتَشجِيعِهِم عَلَى مُوَاصَلَةِ الاجتهاد، كَمَا تُكَرِّمُ المدرَسَةُ الأَسَاتِذَة الذِّينَ أَفنَوْا حَيَاتَهم فِي التّعلِيمَ، وتربيّة الأجيال.

الجَدَّة بِلَهجَةِ المتَسَائِلِ المستَغْرِب: هذا شَيءٌ جَمِيلٌ جِدًّا، لَكِن مَا المُنَاسَبَةُ، يَا أَعِزَّائِي؟

صُهيب: بِمُنَاسَبَةِ يوم العِلم، يَا جَدَّتِي.

الجَدَّة بِأَسَفٍ شَدِيدٍ: لَعَنَ الله الشّيطان الّذي أنسانِي.

رجاء: وهَل تَعرِفِينَ يَومَ العِلمَ، يَا جَدَّتِي؟

الجَدَّةُ: ومَن يَجْهَلُ هَذا اليَوم، يَا أَحِبَّائِي؟!

إِنَّهُ رَاسِخٌ[1] فِي ذَاكِرَةِ كُلِّ جَزَائِرِيّ، ولا سيّما جيلُنا المُخَضْرَمُ[2].

1- رَاسِخٌ: ثابت متأصل لا يتحرك..
2- المُخَضْرَم: من أدرك عهدين.

صهيب: حدّثيني عنه، يَا جَدَّتِي، أَنَا لاَ أَعرِفُ شَيئًا عَن هَذَا اليَوم الذِّي تَتَحَدَّثُونَ عَنهُ سِوَى اِسمه.

رجاء: ومَا عَلاَقَتُهُ، يا جدّتي بِالعَلاَّمَةِ عَبدِ الحَمِيدِ بنِ بَادِيس؟

الجَدَّة: سَأَحكِي لَكُم، يَا أَعِزَّائِي، عَن هَذه المناسبة التّاريخيّة الهامّة.

وضَعتِ الجَدَّة سُبحَتهَا جَانِبًا، ثُمّ اسْتَوت في جِلسَتِهَا وهِي تُتَمْتِم: سَأَحكِي لَكُم، ولَو أَنِّي مُتعَبَةٌ بَعضَ الشَيءِ أَتَمَنَّى أَلاَّ تَخُونَنِي الذَّاكِرَة، فَالتَّارِيخُ أَمَانَةٌ مُقَدَّسَةٌ، عَلَينَا أَن نَنْقُلَهُ إلى الأَجْيَالِ الصّاعدة بِأَمَانَةٍ حَتَّى لاَ يَسْتَهِينُوا بِهَذَا الوَطَنِ المُفَدَّى.

بَعدَ بُرْهَةٍ مِنَ الصَّمْتِ، اِسْتَرسَلَت الجَدَّةُ

في حِكَايتِها بِنغمَةٍ حَزِينَة قائلةً: بَعدَ أَن دَخَلَتْ فَرَنْسَا بِقُوَّتِهَا المُدَمِّرَة، وجُيُوشِهَا الجرّارَة المُتَوَحِّشَة، وبَعدَ أَن عَاثَتْ[1] فِي أَرْضِنَا الغَالِيَةِ فَسَادًا، وخَرَابًا ودَمَارًا، لَمْ يَسْلَمْ مِن بَطْشِهَا[2] أَيُّ كَائِنٍ حَيٍّ، أَحْرَقَتْ، ودَمَّرَتْ، وقَتَّلَتْ، وعَذَّبَتْ، وهجَّرتْ، وشَرَّدَتِ الأَهَالِي، ويَتَّمَتِ الأَطفَالَ، وسَلَبَتِ الأَمْوَالَ، والأَرزَاقَ، دُونَ هَوَادَة، استمرّتْ تَزحَفُ، وتَتَوَسَّعُ فِي بَطشِهَا، وطُغْيَانِهَا شَرقًا وغَربًا، شَمَالاً وجَنُوبًا، إِلَى أَن بَسَطَتْ نُفُوذَهَا عَلَى كُلِّ شِبرٍ مِن أَرْضِنَا الحَبِيبَة، فَصَارَ كُلُّ شَيءٍ تَحتَ سَيْطَرَتِهَا. وكُلُّ هَذِهِ الأَعمَالِ الإِجرَامِيَّة الشَّنِيعةِ لم تُشْفِ غَلِيلَهَا، فَتَبِعَتْهَا بِمَرْحَلَةٍ أُخْرى أَمرَّ وأَدْهَى من سَابِقَتِها، وبَدَأَت في تنفِيذِها،

1- عَاثَت: عثا: عثوا: بالغت في الفساد.
2- بَطشِهَا: بطش: أخذ بعنف بشدة بقسوة.

خُطوَةً.. خُطوَة.

كاميليا: ومَا هِيَ هَذِهِ المَرحَلَةُ، يَا جَدَّتِي؟

الجَدَّةُ: إنّها مرحلةُ غَزْوِ الْعُقولِ، لِطَمسِ[1] الهُوِيَّةِ الجَزَائِرِيَّةِ.

صهيب: مَا مَعْنَى طَمْس الهُوِيَّة، يَا جَدَّتِي؟

الجَدَّة: مَعْنَاهَا يَا بُنَيَّ، مَحْوُ دِينِنَا، ولُغَتِنَا، وإِحْلاَل المَسِيحِيَّة واللُغَة الفَرنسِيَّةِ مَحَلَّهُمَا، وهكَذا يُقْضَى على ثَقَافَتِنَا الجَزَائِرِيَّة والإِسْلاَمِيَّة.

رجاء: ومَاذَا كانت تَقْصِدُ مِن وَرَاءِ هَذَا؟

الجَدَّة: عِندَمَا تَذُوبُ هُوِيَّتُنَا نَفقِدُ شَخصِيَّتَنَا، فنَنْدَمِجَ فِي ثَقَافَتِهَا، فَتُصبِحَ الجَزَائِرُ امْتِدَادًا لها.

صُهيب: وكَيفَ تَسنّى لَهَا ذَلِكَ؟ ومَا هِيَ الوَسِيلَةُ التِي اسْتَعْمَلَتْهَا؟

1- طَمس: مَحَا.

الجَدَّة بانفعال شديد: يَا أَبْنَائِي، إِنَّ الاستعمارَ خبيثٌ، من طبعهِ الظُلمُ والطُّغْيَانُ، أَفعَالُه كُلُّهَا رِجْسٌ مِن عَمَلِ الشَيطَانِ.

كاميليا: وَاصِلِي، يَا جَدَّتِي.

الجَدَّة: سَأَلْتني، يَا بُنَيَّ، عنِ الوَسِيلَةِ التي اسْتَعمَلَهَا المُحْتَلُّ لِلقَضَاءِ عَلَى اللُّغَة، والدِّين؟

صهيب: نَعم، يَا جَدَّتِي، هَذَا هُو السُؤَال عَينُهُ.

الجَدَّة: كَمَا ذَكَرتُ لَكُم سَابِقًا.. بَعدَ أَن صَارَ المُستدْمِرُ صَاحِبَ النُّفُوذِ، وصَاحِبَ القَرَارِ، وكُلُّ شَيءٍ أَصْبحَ يَسِيرُ وِفقَ إِرَادَتِه، بَدَأَ فِي وَضْعِ الخُطَطِ لاسْتِئصَالِ الدِّين الإِسْلاَمِي، والشُرُوعِ فِي التَّنصِيرِ، وتَنْفِيذِ سِيَاسَةِ التَّجهِيلِ، وذَلِكَ بتَهْدِيمِ المَسَاجِدِ، والمدارس والزّوايا، أو

بِتحويلِها إِلَى مَخازِنَ، وَدَكاكِين، أَوْ إلى كَنائِسَ.

كاميليا : اذكُري لنَا، يا جدّتي، أَسْماءَ المَساجِدِ الَّتي تعرّضَتْ لِهَمَجِيَّة الاحتِلاَل.

ابتَسَمَتِ الجدّة، وقالَت : لاَ يُمْكِنُني ذَلك، إنّهَا كثِيرَةٌ جِدّا، لقَدْ كانَت بِلادُنا تزْخَرُ بِهَا، لا تَخْلُو مِنْطَقَةٌ من وُجودِهَا، وخَاصّةً الْمُدُن الكُبْرى، كمَدينَةِ تِلمسان، وبِجاية، وقَسنطينة، ومَازُونَة، وتِيهَرْت، وتنَس، وورَقلة، وبسكرة، وتيزي وزّو والصّحْرَاء...كانَتْ عَاصِمَةُ الْجَزَائِرِ تَضُمُّ وَحْدَهَا مَا يُقَارِبُ مِائَتَيْ جَامِعٍ وَمَسْجِدٍ، وَبِجوَارِ كُلِّ مَسْجِدٍ أَوْ جَامِعٍ تُوجَدُ مَدْرَسَةٌ لِلأَطْفَالِ، يَتعَلَّمُونَ فِيهَا القِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ وَمَبادِئَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، نَاهِيكَ عَنِ الكَتَاتِيبِ لِحِفْظِ القُرْآنِ،

والزَّوَايَا، وَالْمَنَازِلِ الَّتي كانَتْ أَبْوَابُهَا مفْتُوحَةً لِنَفْسِ الغَرَضِ، وَلإِيوَاءِ طُلاَّبِ العِلْمِ والعُلَمَاءِ الوَافِدِينَ مِنْ أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ.

صَاحَ صهيب: إنَّهُ عَدَدٌ هَائِلٌ، يا جَدَّتي، وهَلْ كَانَت تُوجَدُ ثَانوِيّاتٌ وَمَعَاهِدُ فِي ذَلِكَ العَهْدِ؟

الجدّةُ: كانَ التَّعْلِيمُ حِينَئِذٍ يَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ اليَوْمَ. وَلْيَكُنْ فِي عِلْمِكُمْ، يَا أَبْنَائِي، أَنّ الْمَسَاجِدَ فِي ذَلِكَ العَهْدِ كَانَ لَهَا عِدَّةُ أَدْوَارٍ، وَمِن بَيْنِهَا دَوْرٌ كَبِيرٌ، وَفَعَّالٌ، أَلاَ وَهُوَ دَوْرُ التَّرْبِيَةِ، وَالتَّعْلِيمِ، وَنَشْرِ الوَعْيِ، لَقَدْ كَانَتْ بِمَثَابَةِ الْمَعَاهِدِ، وَالجَامِعَاتِ اليَوْمَ، وَكَانَ لِلبَعْضِ مِنْهَا صِيتٌ، وَشُهْرَةٌ وَاسِعَةٌ تُضَاهِي شُهْرَةَ جَامِعِ الزَّيْتُونَةِ، وَجَامِعِ القَيْرَوَانِ فِي تُونُسَ، وجَامِعِ

الأَزْهَرِ فِي مِصْرَ، والحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ فِي مَكَّةَ.

كاميليا: أَيْنَ كَانَتْ تُوجَدُ هَذِهِ الْمَسَاجِدُ الشَّهِيرَةُ؟

الْجَدَّةُ: كَانَتْ مُنْتَشِرَةً فِي كَافَّةِ الْقُطْرِ الْجَزَائِرِيِّ، فِي الغَرْبِ مِثْلُ الْجَامِعِ الكَبِيرِ فِي تِلِمْسَان، وَجَامِعِ سِيدِي العَرْبِي، وَزَاوِيَةِ الأَمِيرِ عَبْدِ القَادِرِ، فِي القِيطْنَة (مُعَسْكَر)، وَفِي الوَسَطِ، زَاوِيَةُ القُلَيْعَة، وَزَاوِيَةُ مَلْيَانَة، وَزَاوِيَةُ ابْنِ مُحْيِ الدِّينِ، وَزَاوِيَةُ بَنِي سلِيمَان، والجَامِعُ الأَعْظَمُ فِي العَاصِمَةِ، أَمَّا فِي الشَّرْقِ فَجَامِعُ سِيدِي الأَخْضَر بِقسَنْطِينَة، وَزَاوِيَةُ سِيدِي عُقْبَةَ بِبِسْكَرَة، وَزَاوِيَةُ ابْنِ عَلِيّ الشّرِيف فِي جِبَالِ جُرْجُرَة، بِالإِضَافَةِ إِلَى مَسَاجِدِ وَادِي مِيزَاب، والمَنَاطِقِ الصَّحْرَاوِيَّةِ الأُخْرَى.

كَانَ التَّعلِيمُ الثّانَوِيّ والعَالِي يُقَدَّمُ لِلطُّلاَبِ مَجَّانًا، وتُعْطَى لِكُلِّ طَالِبِ عِلْمٍ مِنْحَةٌ مَالِيَّةٌ.

رَجاء: إِذًا التَّعْلِيمُ كَانَ مُنْتَشِرًا قَبْلَ الاحْتِلاَلِ.

الجَدّة: نَعَمْ، وَبِكَثْرَةٍ، وَهَذَا بِاعْتِرَافِ الْمُحْتَلِّ نَفْسِهِ.

كاميليا: وَلَكِنْ مَاذَا حَدَثَ لِهَذِهِ الْمَسَاجِدِ؟

الجَدّة: البَعْضُ مِنْهَا هُدِّمَ، وَلَمْ يَبْقَ أَيُّ أَثَرٍ لَهَا، وَالبَعْضُ الآخَرُ حُوِّلَ إِلَى إِسْطِبْلاَتٍ، أَوْ دَكَاكِينَ، أَوْ كَنَائِسَ.

كاميليا: أَلاَ تَزَالُ تِلْكَ الْمَسَاجِدُ مَوْجُودَةً؟

الجَدّة: بَعْضُهَا فَقَطْ؛ سَأَذْكُرُ لَكُمْ بَعْضَ مَسَاجِدِ العَاصِمَةِ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ لاَ الحَصْرِ،

مِنْهَا جَامِعُ سِيدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّعَالِبِي الَّذِي هَدَّمَهُ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَيُّ أَثَرٍ، وَمَسْجِدُ العَنْبَرِ الَّذِي حَوَّلَهُ إِلَى دَكَاكِينَ، وكان معْرُوفاً بِالأَرْوِقَةِ الجَزَائِرِيَّةِ بِشَارِعِ العَرْبِي بَن مَهِيدِي، وَجَامِعُ عَلِي بَتْشِين الَّذِي حُوِّلَ إِلَى إِسْطَبْلٍ، ثُمَّ إِلَى مَخْزَنٍ لِلأَدْوِيَةِ، ثُمَّ إِلَى كَنِيسَةٍ، وَجَامِعُ "سَفِير"، وَالجَامِعُ الجَدِيدُ، وَجَامِعُ السُّلْطَانِ، وَجَامِعُ كَتشَاوَةَ الَّذِي حُوِّلَ إِلَى إِسْطَبْلٍ ثُمَّ إِلَى كَنِيسَةٍ، والقَائِمَةُ طَوِيلَة..

صهيب: لَقَدْ صَدَقَ، يَا جَدَّتِي، مَنْ سَمَّاهُ المُسْتَدْمِرَ، إِنَّهُ عَاثَ فِي بِلادِنَا فَسَادًا، وَخَرَابًا، وَدَمَارًا.

الجَدَّةُ: نَعَمْ، لَقَدْ عَاثَ فِي بِلَادِنَا فَسَادًا وَخَرَابًا، وَمَا قَامَ بِهِ الجِنرَال "رُوفِيقُو" القَائِدُ الأَعْلَى لِلقُوَّاتِ الفَرَنْسِيَّةِ، سَيَبْقَى وَصْمَةَ عَارٍ



فِي تَارِيخِ أُمَّةٍ تَدَّعِي أَنَّهَا جَاءَتْ لِتَنْشُرَ الْحَضَارَةَ وَالْمَدَنِيَّةَ.

رجاء: مَاذَا فَعَلَ هَذَا الْمُسْتَدْمِرُ، يَا جدّتي؟

الجدّةُ: فِي سَنَةِ 1832م أَيْ بَعْدَ احْتِلاَلِ الْعَاصِمَةِ بِزَمَنٍ يَسِيرٍ أَخْرَجَ هَذَا الطَّاغِيَةُ جَمِيعَ الْمَصَاحِفِ الّتي كانت مَوْجُودَةً بِجَامِعِ كَتشَاوَة إِلَى سَاحَةِ الْمَعزِ الَّتِي صَارَتْ بَعْدَ الاسْتِقْلاَلِ تَحْمِلُ اسْمَ سَاحَةِ الشُّهَدَاءِ، وَأَحْرَقَهَا عَنْ آخِرِهَا.

رجاء: يَا لَهَا مِنْ هَمَجِيَّةٍ! إِنَّهُ عَمَلٌ مُقَزِّزٌ، وَشَنِيعٌ.

صهيب بِانْفِعَالٍ شَدِيدٍ: هَذَا عَمَلٌ غَيْرُ أَخْلاَقِيٍّ، هَذَا انْتِهَاكٌ لِحُرُمَاتِ بُيُوتِ الله، يا جدّتي، إِنَّهُ مِن أَبْشَعِ الأَفْعَالِ...

رجاء: وَلَكِن، كَيْفَ كَان رَدُّ فِعْلِ الجَزَائِرِيِّينَ؟

الجدّة: زَفَرَتِ الجدَّةُ زَفْرَةً عَمِيقَةً، ثُمَّ وَاصلَتْ حَدِيثَهَا قَائِلَةً: وَبَعْدَ ذَلِكَ حُوِّلَ الْمَسْجِدُ إِلَى إِسْطَبْلٍ، بَعْدَ أَنْ قَتَلَ فِيهِ مِنَ الْمُصَلِّينَ مَا يَفُوقُ أَرْبَعَةَ آلاَفِ جَزَائِرِيٍّ، كَانُوا قَدْ اعْتَصَمُوا فِيهِ احْتِجَاجًا عَلَى تَحْوِيلِه...

كاميليا: إِنَّهَا أَعْمَالٌ إِجْرَامِيَّةٌ بَشِعَةٌ، وَشَنِيعَةٌ.

صهيب: أَلاَ يُوجَدُ عِنْدَهُمْ أَدْنَى وَازِعٍ دِينِيٍّ، أَو إِنْسَانِيٍّ؟

أضافت رجاء: أَوْ حَضَارِيٍّ؟

كاميليا: أُفٍّ مِنَ الاسْتِعْمَارِ، وَهَمَجِيَّتِه.

صهيب: وَمَاذَا عَنِ الْمَدَارِسِ، يا جدّتي؟

الجدّة: إذَا كانَتِ الْمَسَاجِدُ تَعَرَّضَتْ

لِلتَّخْرِيبِ، وَالتَّحْوِيلِ، فَإِنَّ الْمَدَارِسَ لَقِيَتْ نَفْسَ الْمَصِيرِ.

صُهيب: وَهَلْ اسْتَبْقَى شَيْئًا مِنْهَا؟

الجدّة: نعم، وَمَا اسْتَبْقَاهُ مِنْهَا ضَيَّقَ عَلَيْهَا الخِنَاقَ بافتِعَالِ الشُّرُوطِ، والقُيُودِ، وَقَطْعِ التَّمْوِينِ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهَا مِنْ الإِيرَادَاتِ الوَقْفِيَّةِ، فَاضْطُرَّ البَعْضُ مِنْهَا إِلَى غَلْقِ أَبْوَابِهِ بَعْدَ نَفْيِ، أَوْ سَجْنِ مُعَلِّمِيهَا.

الأحفَاد: وَمَا هِيَ القُيُودُ، وَالشُّرُوطُ الَّتِي افتَعَلَهَا، يَاجَدَّتِي؟

الجَدَّة: الاسْتِعْمَارُ الفَرَنْسِيّ لَمْ يَحْرِمِ الجَزَائِرِيِّينَ نِهَائِيًّا مِنَ التَّعْلِيمِ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَتَنَافَى مَعَ مَبْدَئِهِ الحَضَارِيِّ، وَالتَّقَدُّمِيّ الَّذِي جَاءَ مِنْ أَجْلِهِ حسَبَ ادِّعَائِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ يَسْتَعْمِلُ طُرُقًا

خَبِيثَةً، وَيَتَفَنَّنُ فِي وَضْعِ عِدَّةِ إِجْرَاءَاتٍ لِعَرْقَلَةِ الجَزَائِرِيِّينَ عَنْ مُوَاصَلَةِ التَّعْلِيمِ.

وفي سَنَةِ 1892م أصْدَرَ قَانُونًا يَمْنَعُ فَتْحَ أَيِّ مَدْرَسَةٍ إِلَّا بِرُخْصَةٍ مِنَ السُّلُطَاتِ الفَرَنْسِيَّةِ، كَانَ مِنَ الصَّعْبِ الحُصُولِ عَلَيْهَا وَلِكَيْ تُسَلَّمَ هَذِهِ الرُّخْصَةِ لِطَالِبِهَا، كَانَتْ نُجُومُ السَّمَاءِ أَقْرَبُ إِلَيهِ مِنَ الحُصُولِ عَلَيْهَا.

رجاء: كَيْفَ ذَلِكَ، يا جدّتي؟

الجدّة: قَبْلَ أَنْ تُسَلَّمَ لَهُ الرُّخْصَةُ يَتِمُّ الاسْتِعْلَامُ عَنْ صَاحِبِ الطَّلَبِ، وَمَعْرِفَةُ كُلِّ مَا يَرْتَبِطُ بِحَيَاتِهِ، وَوَلَائِهِ. فَإِنْ حَصَلَ عَلَيْهَا يُشْتَرَطُ عَلَيْهِ قَبُولُ عَدَدٍ مُحَدَّدٍ مِنَ التَّلَامِيذِ، لَا يَتَعَدَّى الثَّمَانِيَةَ؛ بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُ يُمْنَعَ عَلَيْهِ تَدْرِيسُ المَوَادِّ العِلْمِيَّةِ، مِن رِيَاضِيَاتٍ، وَفِيزِيَاء، وَعُلُومٍ،

كَما يُمْنَعُ تَدْرِيسُ التَّارِيخِ الجَزَائِرِيِّ والإِسلاَمِيِّ مَنعًا بَاتًّا[1].

رجاء: عَجبًا! ما الَّذي سَمَحَ بِهِ الْمُسْتَدْمِرُ أَنْ يُدرَّسَ في هَذِهِ الْمَدارِسِ، يا جَدَّتِي؟

الجَدَّة: لاَ يُحَفَّظُ فِيهَا إِلاَّ القُرآنُ مَعَ عَدَمِ تَفْسِيرِ آيَاتِهِ.

صهيبُ: يا لَهُ مِن ظُلم! أَيُعْقَلُ أَن يَصْدُرَ هَذَا عن دَولَةٍ تَتَشَدَّقُ[2] بِالدِّيمُقْرَاطِيَّة، والتمَدُّنِ، والحَضَارَة، وحُقُوقِ الإِنْسَانِ؟!

أَضَافَتْ رجاء بِلَهْجَةِ السَّاخِرِ الْمُتَهَكِّمِ: وحَتَّى حُقُوقِ الحَيْوَانِ..

الجَدَّة: نعم، يا أَبنائِي، الاسْتِعْمارُ مُتَناقِضٌ

1- بَاتًّا : قطعا.
2- تَتَشَدَّقُ : تشدّق تنمّق.. من ينمق الكلام.



مَعَ نَفْسِهِ، فَفِي نَفْسِ الوَقْتِ الّذِي يُنَادِي فِيهِ، وَيُؤَكِّدُ عَلَى حُرِّيَّةِ الفَرْدِ، وَحُقُوقِ الإِنْسَانِ فِي بِلاَدِهِ، يُهَيْمِنُ عَلَى الدُّوَلِ الضَّعِيفَةِ، لِيَسْتَعْبِدَهَا.

صهيب: إِنَّهُ يَقُولُ مَا لاَ يَفْعَلُ...

الجدّة: وبِهَذا بَلَغَ الْمُحْتَلُّ مُرادَهُ، وحقَّقَ أَهْدَافَهُ فَأُصِيبَتْ بِلادُنا بِنَكْسَةٍ عِلْميّةٍ، وثَقَافِيَّةٍ، ودِينِيَّةٍ.

كاميليا: مَاذَا نَتَجَ عَنْ غَلْقِ المَدَارِسِ، وَتَحوِيلِ المْسَاجِدِ، وسَلْبِ الأَرَاضِي؟

الجَدَّة بِنَبرَةٍ حَزِينَة: بِإغْلاقِ المَدَارِس، يَا أَبْنَائِي، انْتَشرَ الجَهْلُ، وَعَمَّتِ الأُمِّيَّةُ، وبِتَحْوِيلِ المَسَاجِدِ إِلَى كَنَائِسَ انْكَمَشَ الدِّين الإِسلاَمِيّ، فَتدهْورَتِ الأَخْلاَقُ، وظَهَرَت البِدَعُ والخُرَافَاتُ، والشَعْوَذَة، وبِسَلبِ الأَرَاضِي، والمْمتَلكَات تَشتَّتَ الشَّمْلُ، وتَشَرَّدَ الشَّعبُ، وعَمَّتِ البِطَالَة، وانْتَشَرَ الفقرُ، والمَرَضُ، والحِرمَان.

رجاء بِحَسْرَةٍ وَأَلَم: هَذَا هُوَ قَانُونُ الغَابَةِ الَّذِي يَفْرِضُهُ القَوِيُّ عَلَى الضَّعِيفِ، يَا لَهُ مِن ظُلْمٍ!

كاميليا: ثُمَّ مَاذَا، يَا جَدَّتِي؟

وَاصَلَتِ الجدّة حَدِيثَها بِحُرْقَةٍ قائلةً: بِهذا



مُهِّدَ الطَّرِيقُ لِلحَرَكَةِ التّنْصِيرِيَّة، فَظَهَرَ الآبَاءُ البِيضُ مُسْتَغِلِّينَ حاجَةَ اليَتَامَى والمُعْوِزِينَ،

فأَغْرَوْهُمْ تحت سِتَارِ المْسَاعَدَاتِ، والأعْمَالِ الخَيْرِيَّةِ، بِتَقْدِيمِ الخُبْزِ والدَّوَاءَ، والمَلاَبِس والإيواء..

الأَحفَاد: لَعْنَةُ اللهِ عَلَى المُحْتّلِ الغَاصِبِ[1] وأَتْبَاعِهِ.

الجدّة: أَرَأَيتُم، يَا أَبْنَائِي، إلى الطُّرُقَ التِّي انْتَهَجَهَا المحْتلُّ لِيُهيْمِنَ عَلَى العُقُولِ، والضَمَائر؟ فَمَا رَأَيْكُمْ باليَتِيمَ الّذِي تَكَفَّلَ به؟ وبالجَائِعِ الذِّي أَطعَمَهُ؟ وبالعُريَان الذِّي كَسَاهُ؟ وبالْمَرِيض الذِّي دَاوَاهُ؟ وبالْمُتشَرّدِ الّذي آواه؟

صهيب: طَبْعًا، إِنَّهُمْ يَنْقَادُونَ لَهُ، ويَتَقَبَّلُون رَأيَه مِن غيرِ تفكِيرٍ، أو قَنَاعَةٍ.

الجدّة: بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، يَا أَبْنَائِي، كَوَّنَ

1– الغَاصِبِ: الظالم آخذ بالقوة.

المُحْتَلُّ جِيلاً مُدَجَّنًا يَدِينُ لَهُ بِالوَلاءِ، والخُضُوعِ، ويُسَاعِدُهُ عَلَى تَثْبِيتِ وُجُودِهِ، وَنَشْرِ أَفْكَارِهِ، وَبَسْطِ سَيْطَرَتِهِ، عَلَى رُبُوعِ الوَطَنِ الجَزَائِرِيّ، بَعْدَ أَنْ فَشِلَتْ سُلُطَاتُه العَسْكَرِيَّةُ فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ.

كاميليا: إِنَّهُ أُسْلُوبٌ خَبِيثٌ، يا جدّتي، هَذِهِ خُدْعَةٌ.

هَتَفَ بَقِيَّةُ الأَحفَادِ: يَا لهُ مِنْ مُرَاوِغٍ! وَيَا لَهَا مِن طُرُقٍ خَبِيثَةٍ! إِنَّهُ يَحْمِلُ الشَّرَّ بِيُمْنَاهُ، والْخَيرَ بِيُسْرَاهُ، هَذِهِ هِي أَعْمَالُ إِبلِيسَ[1].

كاميليا: ولَكِن مَا عَلاَقَةُ عَبدِ الحَمِيدِ بْنِ بَادِيسَ بِكُلِّ هَذِهِ الأَحْدَاثِ؟

الجَدَّة: لاَ تَسْتَعجِلُونِي، يَا أَعِزَّائِي، سَيَأتِي

1– إبلِيسَ: شيطان.

ذِكرُهُ لاحِقًا، فَعَبْدُ الحميدِ لَمْ يَظْهَرْ فجأةً.. لا بُدَّ مِنْ ذِكرِ الأوْضَاعِ، فذِكْرُهَا مُهِمٌّ، يا أحِبَّائي، وحتّى لا نَنْسَى ما فَعَلَهُ المُحْتَلُّ في وطَنِنَا، وفي أمَّتِنَا؛ وَلْيَكُنْ في عِلْمِكُم، أنَّهُ مَهْمَا أحْكِي وأَرْوِي لَكُمْ، فَلَنْ أسْتَطِيعَ أنْ أَحْكِيَ لَكُمْ مِقْدارَ قَيْدِ أُنْمُلَةٍ مِمَّا عانَتْهُ أمَّتُنَا مِنْ ظُلْمٍ، وَقَهْرٍ، وجَوْرٍ، وَجهلٍ وَحِرمَانٍ، وَأمْرَاضٍ، ومُعَانَاةٍ.

قَالَ صُهيْب بِحَماسٍ، وهُوَ يُكَوِّرُ قَبْضَتَهُ غَضَبًا، وَسُخْطًا: آه، لَو كُنْتُ في ذَلِكَ العَهْدِ مَوْجُودًا، يا جدّتي، لَحَمَلْتُ السِّلاحَ، وحَارَبْتُ بِهِ المُحْتلِّينَ الْغَاصِبِينَ، حَيْثُمَا وَجدْتُهُمْ إلَى أنْ أطْرُدَهُمْ، أَوْ أَقْضِيَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا.

رجاء: أَكُلُّ هَذا حَصَلَ دُونَ مُقَاوَمَةٍ، أوْ رَدِّ

فِعْلٍ مِنَ الْمُوَاطِنِينَ؟

الجدّة: لا، يا أبْنَائِي، فالأُمَّةُ الجزائِرِيَّةُ لَمْ تَسْتَسْلِمْ، وَلَمْ تَرْضَخْ لِلْعُدْوانِ.. بَلْ قَامَتْ بِعِدَّةِ ثَوَرَاتٍ مُسَلَّحَةٍ، في عِدَّةِ مَنَاطِقَ.. فَمَا إنْ تَخْمُدُ[1] ثَوْرَةٌ في الغَرْبِ تَظْهَرُ أُخْرَى في الشَّرْقِ، وما إنْ تَخْمُدُ ثَوْرَةٌ في الجَنُوبِ تَظْهَرُ أُخْرَى في الشَّمَالِ.

رجاء: ومَن كَانَ يُخْمِدُهَا، يا جَدَّتِي؟

الجَدَّة: إنَّ المَارِدَ الجَبَّار –فَرنسا الاسْتِدمارِيَّة– المُتَفَقِّهَةَ في عَمَلِ الشَّيطَانِ، سُرعَانَ ما كانَتْ تَقْضِي عَلَيها، وتُخْمِدُهَا، فَالوَسَائِلُ عِنْدَها مُتَعَدِّدَةٌ، وأَسَالِيبُها مُتَنَوِّعَةٌ، كَما ذَكَرْتُ لَكُم آنِفًا..

كاميليا: تَبًّا لِلاسْتِعْمَارِ..

1- تَخْمُدُ: خمد: سكن سكت.

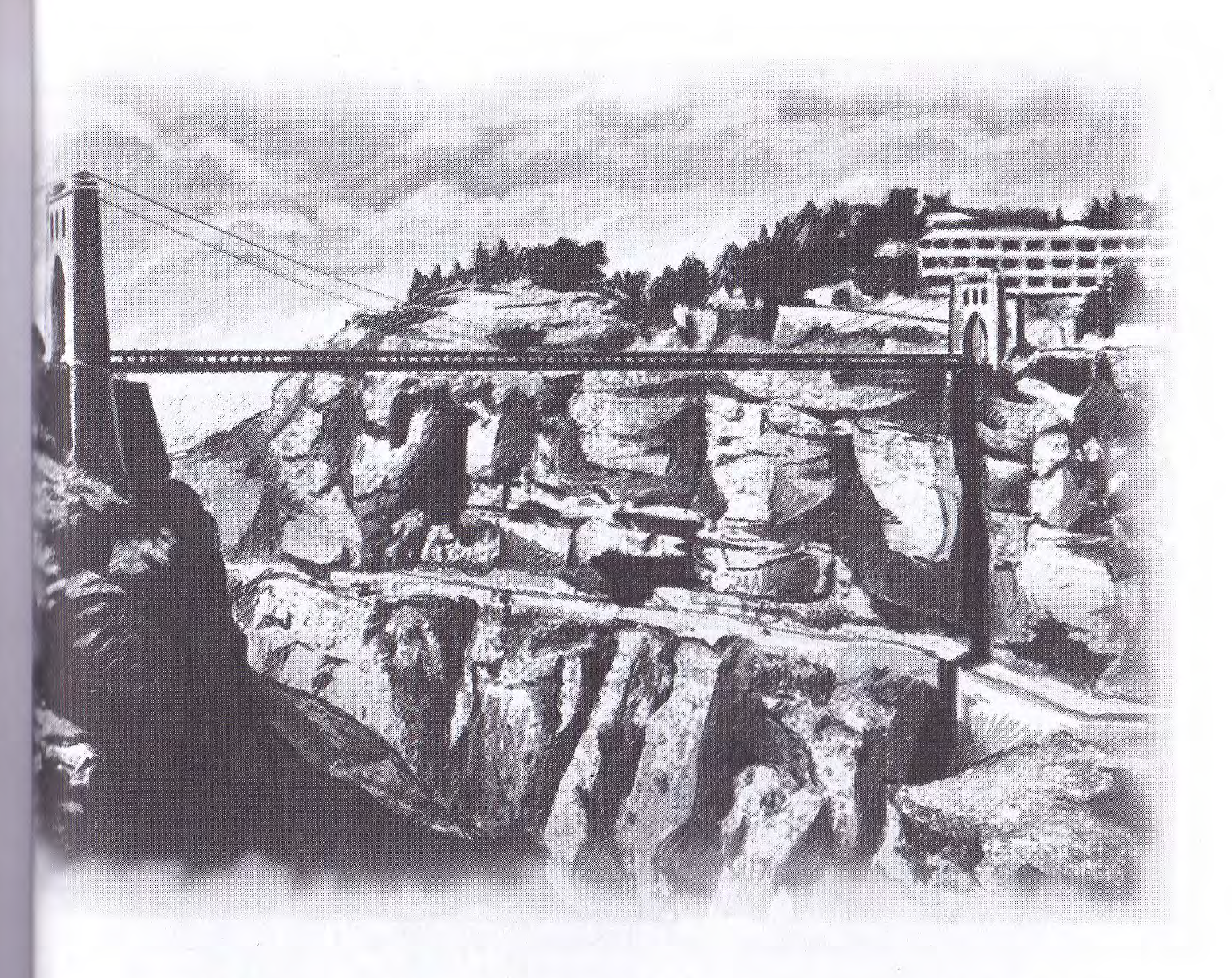


رجاء: يَا لَهُ مِنْ غَاصِبٍ حَقُودٍ! لَعْنَةُ اللهِ عَلَى المُحْتَلّ وأَذْنَابِهِ.

الجدّة: فِي هَذِهِ الظُّرُوفِ الحَالِكَةِ، وَوَسَطَ هَذِهِ الأَوضَاعِ المُزْرِيَة، كَانَ عَبْدُ الحَمِيدِ بْنُ بَادِيسَ يَعِيشُ فِي مَدِينَةِ قَسَنْطِينَةَ، كَانَ يَرَى، وَيَسمَعُ، ويُحِسُّ، وَيَتَأَلَّمُ رَغْمَ أَنَّهُ عَاشَ حَيَاةً مَيْسُورَةً، ولَمْ يَعِشْ نَفسَ الظُّرُوفِ، الَّتِي عَاشَهَا أَغْلَبُ الجَزَائِرِيِّينَ، لأنّ عَائِلَتَهُ حَبَاهَا اللهُ العِلمَ المَوْرُوث، والوَجَاهَةَ، وَالعَيْشَ الكَرِيم، فَلَمْ يَمَسَّهَا الضُّرُّ..

صهيب: أَيْنَ وُلِدَ؟ وما نَسَبُه، يَا جَدَّتِي؟

الجَدةُّ: وُلِدَ بِمَدِينَة قَسَنْطِينَة يَوْمَ الأَرْبعَاء 4 دِيسَمْبَر سَنَةَ 1889م، أَمّا نَسَبُه فَهُوَ عَبدُ الحَمِيدِ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُصْطَفَى بْنِ المَكِّي بن مُحَمَّدِ بنِ



عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ بَرَكَات بنِ عَبْد الرَّحْمَن بنِ بَادِيسَ الصَّنْهَاجِيّ. يَنْحدِرُ مِنْ سُلاَلَةٍ عَرِيقَةٍ كَانَ لَهَا دَوْرٌ بَارِزٌ فِي تَارِيخ الْمَغرِبِ الإِسْلاَمِيّ، فَقَدْ تَولَّى جَدُّهُ الأَوَّلُ (بُلَكِّينَ بن زِيرِي بن مَنَاد) الْمُكَنَّى بِأَبِي الفُتُوحِ مَنْصِبًا عَلَى إِفرِيقِيَا والمَغْرِب.

رجاء: وأَيْنَ تعلّمَ؟ ومَن هُوَ مُعلِّمُهُ، يَا جَدَّتِي؟

الجَدَّة: عَبْدُ الحَمِيدِ بْنُ بَادِيسَ لَمْ يَدْخُلِ المَدْرَسَةَ الفَرَنْسِيَّةَ، لأَنَّ وَالِدَهُ أَنْشَأَهُ تَنْشِئَةً إِسْلاَمِيَّةً، رَبَّاهُ عَلَى حُبِّ العِلْمِ، وَالدِّينِ، خَتَمَ حِفْظَ القُرْآنِ الكَرِيمَ وهُوَ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَة..

بَعْدَهَا تَتَلْمَذَ عَلَى يَدِ الشَّيْخ أَحْمَد حَمْدَان لُونِيسِي فِي قَسنطِينَة. فَكَانَ لِهَذَا الشَّيْخِ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي تَوجِيهِهِ؛ إِذْ أَوْصَاهُ بِقَوْلِهِ: "يَا بُنَيَّ، اُدْرُسِ العِلمَ لِلعِلْمِ لاَ لِلْوَظِيفَة".. فَأَخَذَ عَبدُ الحَمِيد بْنُ بَادِيس عَهْدًا عَلَى نَفْسِهِ أَلاَّ يَقْرُبَ مِنَ الوَظَائِفِ الحُكُومِيَّة الفرَنسِيَّة، ولاَ يَتَّخِذَ عِلْمَهُ مَطِيَّةً لَهَا.

فِي سَنَة 1908م شَدَّ عَبدُ الحَميدِ بْنُ بَادِيسَ الرِّحالَ[1] إِلَى مَدِينَةِ تُونُسَ كَشَأْنِ الجَزائِرِيِّينَ الْمُتَعَطِّشِينَ إِلَى الْعِلْمِ آنذَاكَ.. لِيَنْهَلَ[2] مِن مَعِينِ الْعِلْمَ، والْمَعْرفةِ فِي رِحَابِ جَامِعِ الزَّيتُونَةِ الَّذِي كَانَ قِبْلَةً وَمَنَارَةً لِلعِلمَ، والعُلَمَاءِ. وبَعْدَ أَنْ نَالَ الشَّهادَةَ العَالَمِيَّةَ قَضى سَنَةً بَعْدَهَا فِي التَّدْرِيسِ بِجَامِعِ الزَّيْتُونَةِ، حَسَبَ مَا كَانَتْ تَقتَضِيهِ الْعَادَةُ حِينَئِذٍ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَسْقَطِ رَأسِهِ مُسَلَّحًا بِالعِلَمِ... فَنظَرَ لأُمَّتِهِ، وَوَطَنِهِ بِعَينِ الذَّكَاءِ، والوَعيَ، فرَأَى أَنَّ الدَّاءَ قَدِ اسْتَفْحَلَ.. فَوضَعَ يَدَهُ عَلى الدَّاءِ، فَعَرَفَ الدَّوَاءَ.

رجاء: مَا هُوَ الدَّاءُ الَّذِي اسْتَفْحَلَ؟ ومَا هُوَ الدَّوَاءُ الَّذِي عَرَفَهُ؟

1- شَدَّ الرِّحَال : استعد للرحيل.

2- يَنْهَل : يستقي العلم من مناهجه.

الجَدَّة: الدَّاءُ هُوَ الجَهْلُ، أَمَّا الدَّوَاءُ فَهُوَ العِلْمُ؛ آمَنَ العَلاَّمَةُ بِأَنَّ العِلْمَ هُوَ الأَسَاسُ، فَبِالعِلْمِ تُوقَظُ الضَّمَائِرُ، ويَتَحَرَّرُ العَقْلُ، وبِتَحْرِيرِ هَذَا الشَّعْبِ مِنْ دَاخِلِهِ، يَتَحَرَّرُ الوَطَنُ مِنَ نِيرِ العُبُودِيَّةِ، لِذَلِكَ اخْتَارَ مِهنَةَ التَّعْلِيمِ، فَكَانَ يُدَرِّسُ الصِّغَارَ فِي النَّهَارِ، ويَعِظُ الكِبَارَ فِي الْمَسَاءِ، ولِلنِّسَاءِ نَصِيبُهُنَّ يومَ الجُمُعَةِ بَعدَ الصَّلاَةِ.. وكَانَ يُمْضِي هَزِيعاً[1] مِن اللَّيلِ فِي الكِتَابَةِ.

الأحفَاد: وهَلْ اسْتَمَرَّ فِي عَمَلِهِ هَذَا؟

الجَدَّة: كَلاَّ، يا أعِزَّائِي، إِنَّ أَعْدَاءَ الْوَطَنِ، وَالإِصْلاَحِ كَانُوا لَهُ بِالْمِرْصَادِ، فَكُلَّمَا خَطَا خُطْوَةً

1- هزيع من الليل : جزء منه.

نَحْوَ هَدَفِهِ الأَسْمَى، وَقَفُوا أَمَامَهُ كالسَّدِّ الْمَنِيعِ، لِكَيْ لا يُوَاصِلَ نَشَاطَهُ، ومِشْوَارَهُ، فَاضْطُرَّ إلَى مُغَادَرَةِ الجَزَائِرِ مَرَّةً أُخْرَى.

صُهيب: وإِلَى أَيْنَ ذَهَبَ؟

الجَدَّة: ذَهَبَ هَذِهِ الْمَرَّةَ إلى الْمَشْرِقِ العَرَبِي، لأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ، وبَعْدَ أَنْ أَدَّاهَا قَصَدَ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ، وَهُنَاكَ الْتَقَى بِشَيْخِهِ حَمْدَان لُونِيسِي، وتَعَرَّفَ عَلى الشَّيْخِ البَشِيرِ الإِبْرَاهِيمِي الَّذِي أَصْبَحَ فِيمَا بَعْدُ رَفِيقَ دَرْبِهِ، فَكَانَ لِهَذَا اللِّقَاءِ، والتَّعَارُفِ أَثَرٌ كَبِيرٌ طَيِّبٌ ومُبَارَكٌ...

كاميليا: كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ، يَا جدّتي؟

الجَدَّة: كَانَ العَلاَّمَةُ ابنُ بَادِيس يَلْتَقِي بِالشَّيْخِ البَشِيرِ الإِبرَاهِيمِي، وحَمْدَان لُونِيسِي، وغَيْرِهِمَا مِنَ الْجَزَائِرِيِّينَ في الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ،



فَيَتَبَادَلُونَ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ فِيمَا يَخُصُّ الجَزَائِرَ وأَوْضَاعَهَا الْمُتَرَدِّيَةَ والْمُزرِية، فتلاقَتْ أَفْكَارُهُمْ عَلَى وُجُوبِ إنْشَاءِ حَرَكَةٍ إِصْلاَحِيَّةٍ تَنْهَضُ بالأُمَّةِ الجَزَائِرِيَّةِ.

صهيب بِإِعْجَابٍ: نِعْمَ الرِّجَالُ! وَهَبَ اللهُ لَهُمْ ذِهْنًا لاَمِعًا، وَفِكْرًا خِصْبًا، وصَلاَبَةَ العُودِ،

ورِبَاطَةَ جَأْشٍ.

رجاء: وكَمْ لَبِثَ في الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، يا جدَّتِي؟

الجَدَّة: لَقَدْ طَابَ الْمُقَامُ لِلعَلاَّمَة فِيهَا، وَوَدَّ أَنْ يُقِيمَ هُنَاكَ، لَكِنَّ مَا إِنْ مَضَتْ ثَلاَثَةُ أَشْهُر عَلَى إِقَامَتِهِ فِي رِحَابِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، حَتَّى نَصَحَهُ أَحَدُ الشُّيُوخِ الْمُقَرَّبِينَ إِلَيْهِ بِالرُّجُوعِ إِلَى الجَزَائِر قَائِلاً لَهُ:

إِنَّ الجَزَائِرَ فِي أَمَسِّ الْحَاجَةِ إِلَيْكَ، وإِلَى أَمْثَالِك مِن الرِّجَالِ الغَيُورِينَ عَلَى وَطَنِهِم، وَدِينِهِم، عُدْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهَا تَنْتَظِرُكَ.

صهيب: وهَل عَادَ العَلاَّمَةُ عبد الحميد بنُ بَادِيسَ إِلَى وَطَنِهِ؟

الجَدَّة: أَجَلْ، يَا أعزَّائي، أَخَذَ العَلاَّمَةُ بِنَصِيحَةِ الشَّيْخِ، فَغَادَرَ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ، وأَثْنَاءَ

عَوْدَتِهِ مَرَّ بِبِلاَدِ الشَّامِ، ثُمَ مِصرَ حَيْثُ اِلْتَقَى بِرِجَالِ الْعِلمَ، والْفِكْرِ، فتَأَثَّرَ بِهِم، وأَخَذَ عَنْهُم الكَثِيرِ..

رَجعَ العَلاَّمَةُ إِلَى مَسْقَطِ رَأْسِهِ، وَفِي ذِهْنِهِ شُحْنَةٌ مِنَ الأَفْكَارِ الإِصْلاَحِيَّةِ الَّتِي تَخْدُمُ بَلَدَهُ، وأُمَّتَه، فَاسْتَقَرَّ فِي قَسَنطِينَة، وَاتَّخَذَ الْمَسجِدَ الأَخْضَر، ومَسْجِد سِيدِي قَمُّوش مَرْكَزًا لِنَشَاطَاتِهِ، مُرَبِيًّا وإِمَامًا، وصَحَافِيًا، يَنْشُرُ أَفْكَارَهُ الإِصْلاَحِيَّة؛ كَانَ يعمَلُ لِوَجهِ الله، لاَ يَتَقَاضَى أَجْرًا عَمَّا يُقَدِّمُه من أعمالٍ.

رجاء: وأَيْنَ كَانَ يَنْشُرُ مَا يَكْتُبُ؟

الجدّة: كَانَ العَلاَّمَةُ يَنْشُرُ مَقَالاَتِهِ فِي جَرِيدة النَّجاحِ الَّتِي أَسَّسَهَا الشَّيخُ عبْد الْحَفِيظِ بن الهَاشِمي سنَةَ 1919م تَارَةً بِإِمْضَائِهِ الصَّحِيح،

وتارةً بإمْضاءِ اسْمٍ رَمْزي (العَبْسِيّ[1]، الصَّنْهاجيّ، الجَزائِري)، وفي سنَةِ 1925م تَأَسَّسَتْ مَطْبَعَةٌ إسْلاَمِيَّةٌ في قَسَنْطِينَةَ، فظَهَرَتْ صَحِيفَةُ المُنْتَقِدِ، ثُمَّ صَحِيفَةُ الشِّهَابِ، ثُمَّ البَصَائِرِ، وَغيْرِهَا. وكَانَتْ كُلُّ هَذِهِ الصُّحُفُ تَحْمِلُ رَايَةَ الإصْلاَحِ، وَتُدَافِعُ عَنِ الاسْلاَمِ، وَاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، والشَّخْصِيَّةِ الجَزَائِرِيَّةِ، وتُقَاوِمُ الاسْتِعْمَارَ، وتَكْشِفُ عن دَسَائِسِهِ.

كاميليا: ولِمَ هَذَا التَّنْوِيعُ في العَنَاوِينِ؟

الجدة: لَيْسَ تَنْوِيعًا في العَنَاوِينِ، يَا أَبْنَائِي، وإنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الصُّحُفُ تَتَعَرَّضُ لِلمُضَايَقَاتِ، وَالعَرَاقِيلِ مِنْ طَرَفِ الأعْدَاءِ المُحِيطِينَ برِجَالِ الإصْلاَحِ، وَمِنَ المُحْتَلِّ الغَاصِبِ، فَكُلَّمَا مُنِعَتْ

1- العبسيّ: نسبة إلى البطل العربي عنترة بن شدّاد العبسيّ.

صَحِيفَةٌ مِنَ الصُّدُورِ، خَلَفَتْهَا أُخْرى تَحْتَ عُنْوَانٍ جَدِيدٍ، فكَانَ لَهَا صَدًى أَوْسَعُ، وَأَقْوى مِن سَابِقَتِهَا.

صُهيب: إِنَّهُ رَجُلٌ قَوِيٌّ، وشُجَاعٌ، لَمْ تَفْتُرْ هِمَّتُه، ولَمْ تَثْنِه الصِّعابُ، قَلَّمَا يَجُودُ الزَّمَانُ بِرَجُلٍ مِثْلِهِ.

كاميليا: كَانَ يُوَاجِهُ الصِّعابَ ولاَ يُبَالِي، فَنِعْمَ القُدْوَة لَنَا.

رجاء: وَهَلْ كَانَ يَعْمَلُ بِمُفْرَدِهِ، يَا جَدَّتِي؟

الجَدَّة: كَلاَّ، يَا أَبْنَائِي. فَعَبْدُ الحَمِيدِ بنُ بَادِيس كَانَ يُؤمِنُ بِالعَمَلِ الجَمَاعِيِّ، كَانَ لَهُ زُمَلاَءُ، وأَصْدِقَاءُ يُسَانِدُونَهُ، ويَقِفُونَ إِلَى جَانِبِهِ، وَكَانَ الأَمْرُ بَيْنَهُم شُورَى، وَقَدْ وَصَفَهُمْ في بَعْضِ كِتَابَاتِهِ بِالأُسُودِ.

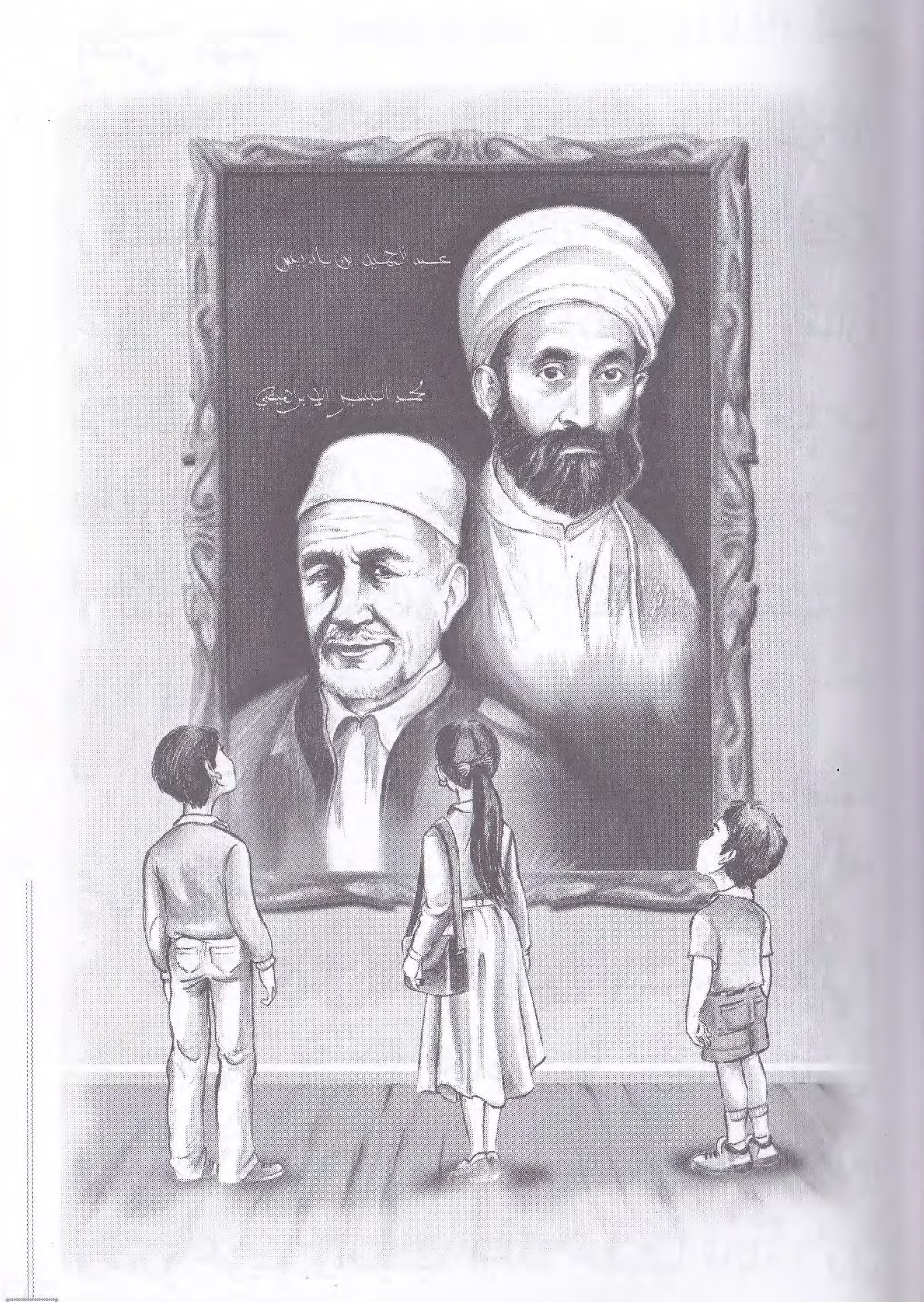
كاميليا: مَنْ هُمْ هَؤُلاَءِ الأَصْدِقَاءُ الَّذِي وَصَفَهُمْ بِالأُسُودِ، يَا جَدَّتِي؟

الجَدَّة: كُلُّ مُحِبٍّ لِلدِّينِ، والعُرُوبَةِ، وَلِلْخَيْرِ والإِصْلاَحِ، وكُلُّ صَدِيقٍ لِلْوَطَنِ فَهُوَ صَدِيقٌ لِلْعَلاّمَةِ.

رجاء: سَمِّي لَنَا البَعْضَ مِنْهُمْ، يا جدّتي.

الجدة: أَذْكُرُ لَكُمْ مِنهمْ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، لاَ الْحَصْرِ الشَّيْخَ البَشِيرَ الإبرَاهِيمِي، والطَّيِّبَ العُقْبِيّ، والعَرْبِيَّ التِّبَسِّيَّ، وفُضَيْلَ الْوَرْتلانِيَّ، والشَّاعِرَ مُحَمَّد العِيد آل خَلِيفَة، وَتَوْفِيق الْمَدَنِيّ، وَأَبَا اليَقْظَانِ، والقَائِمَةُ طَوِيلَةٌ.. طويـلة....

صهيب: حَقًّا، يا جَدَّتِي، لَقَد أَصَابَ العَلاَّمَةُ فِي وَصْفِهِ إِيَّاهُم، بِأَنَّهُم أُسُودٌ بِحَق، فَأَيْنَ كَانَ



يَلتَقِي بِهِم؟

الجدّة: كَانَ العَلاَّمَةُ نَشِيطًا كَثِيرَ الحَرَكَةِ، والتَّنَقُّلِ، لاَ يَسْتَقِرُّ فِي مَكَانٍ كَانَ يَتَرَدَّدُ كَثِيرًا عَلَى نَادِي التَّرَقِّي، كَانَ هَذَا النَّادِي قِبْلَةً، ومَنَارَةً لِرِجَالِ الْعِلْمِ، والْفِكْرِ، وَالأَدَبِ عَلَى اخْتِلاَفِ مَشَارِبِهِم، ومَذَاهِبِهِم؛ كَانَ يَجْمَعُهُم حُبُّ الوَطَنِ والدِّينِ، ونَبْذُهُمْ لِلأَوْضَاعِ الْفَاسِدَةِ الْمُتعَفِّنَة.

كاميليا: أَيْنَ يَقَعُ هَذَا النَّادِي؟

الجَدَّة: يَقَعُ هَذَا النَّادِي بِالجَزَائِرِ العَاصِمَة بِحَيِّ القَصَبَةِ السُّفْلَى.

رجاء: وَمَنْ أَسَّسَهُ؟ ومَتَى أُسِّسَ، يا جدّتي؟

الجدّة: أَسَّسَتْهُ جَمَاعَةٌ من رجَالِ الدِّينِ، والفِكْرِ، والأدَبِ في شَهر جويلية عام 1927م، وبِنَبْرَةٍ حَزِينَةٍ وَاصلَتِ الجدّة حَدِيثَهَا قَائِلَةً: وفي

سَنَة 1930م وَقَعَتْ حَادِثَةٌ فَادِحَة، مَسَّتْ مَشَاعِرَ الجَزَائِرِيِّينَ وكَرَامَتَهِم، فَتَرَكَتْ فِي نُفُوسِهِم أَلَمًا مُبَرِّحًا، وحُزنًا عَمِيقًا.

كاميليا: مَاذَا وَقَعَ فِي تِلْكَ السّنَة، يا جدَّتِي؟

الجدّة: في تلك السّنَة، يا أَعِزَّائِي، احْتَفَلَ المحْتَلُّونَ بِالذِّكرَى المِئوِيَّة لاحْتِلاَلِ الجَزَائر، وبَالَغُوا فِي إِثَارَةِ مَشَاعِرِ الجَزَائِرِيِّينَ واسْتِفْزَازِهِم؛ تَصَوَّرُوا، يَا أَبْنَائِي، كَيفَ كَانَ الاحتِفَالُ؟

الأَحفَادُ بتلهُّفٍ، وشَوْقٍ: اِحْكِي لَنَا، يَا جَدَّتِي، كَيفَ كَانَ الاحتِفَال؟

الجدّة: كَمَا ذَكَرتُ لَكُم سَابِقًا، يَا أَحِبَّائِي، إِنَّ الاسْتِعْمَارَ فَقِيهٌ فِي أُسْلُوبِ الظُّلْمِ والاِسْتِفْزَازِ.. تَصَوَّرُوا مَاذَا فَعَلَ فِي ذَلكَ اليَوم المَشْؤُوم؟ في ذَلِكَ اليَوْمِ خَرَجَ جَمْعٌ كَبِيرٌ مِنَ المحتَلِّينَ، وأَذْنَابِهِم

إِلَى شَوَارِعِ عَاصِمَةِ الْجزائر، وَهُمْ يَحْمِلُونَ نَعْشًا عَلَيْهِ عَلَمُ الجَزَائِر، وَيُرَدِّدُونَ: الجَزَائِرُ فَرَنْسِيَّة.

الأَحفَاد باسْتغْرابٍ، وتَعجُّب: ومَنِ الْمَيِّتُ، يَا جَدَّتِي؟

الجَدَّة: كانَ النَّعْشُ فَارِغًا، وإِنَّمَا كَانُوا يَرْمُزُونَ بِذَلِكَ إِلى الأُمَّةِ الجَزَائِرِيَّة.

سَأَلَتْ رَجَاء بِسَذَاجَةٍ: وَهَل مَاتَتِ الأُمَّةُ الجَزَائِرِيَّةُ؟!

الجَدَّة: يَا أَبْنَائِي، الأُمَّةُ تَحيَا بِلُغَتِهَا، ودِينِهَا، وإِذَا امَّحَتْ لُغَتُهَا ودِينُهَا، فَقَدْ مَاتَتِ الأُمَّةُ، ولَمْ يَعُدْ لَهَا كيَانٌ.

فَقَالَتْ كَاميليا بِلَهْجَةٍ تَشُوبُهَا السُّخْرِيَةُ: إِذاً، يَا جَدَّتِي، حَسَبَ ظَنِّهِمْ، قَضَوْا عَلَى الأُمَّةِ الجَزَائِرِيَّة، فَشَيَّعُوهَا.

رَدَّ صُهيب: يا لَهُ مِن تَصَرُّفٍ خَسِيسٍ، وَمُخزٍ!

الجَدَّة: أَجَل، يَا أَبْنَائِي، كَانَ ذَلِكَ حسَبَ زَعْمِهِم... ففِي هَذِهِ الظُّرُوف السَّودَاء، المَلِيئَة بِالظُّلمَ، والهَيمَنَةِ، والاستِبْدَادِ، وبالأَحْزَانِ، والْمَآسِي، سَطَعَ نَجْمُ جَمْعِيَّةِ العُلَماءِ الْمُسْلِمِين الجَزَائِرِيِّينَ.

صهيب: وكَيفَ تَمَّ ذَلِكَ، يَا جَدَّتِي؟

الجَدَّة: وكَمَا يُقَالُ: الأَزْمَةُ تَلِدُ الهِمَّة.. ولِكُل زَمَانٍ فِرعَوْنٌ، وَلِكُلِّ فِرْعَوْنٍ مُوسَى. في يَوم 5 ماي 1931م، وَمِنْ رَحِمَ هِذهِ الأَزْمَة انْبَثَقَتْ مِن اللَّجْنَةِ التَّحضِيرِيَّة بِنَادِي التَرقِّي في الجَزَائِر العَاصِمَة جَمْعِيَّة العُلَمَاء الْمُسْلِمِين الجَزَائِرِيِّين، للردّ على الْمُحْتَلِّ الغَاصِبِ وأَذْنَابِهِ لِتَقُولَ لَهُم بِلِسَانِ الْحَالِ:

نَحنُ هُنَا، والجَزَائِرُ بِخَيرٍ، لَمْ تَمُتْ، لِتُشَيَّعَ جِنَازَتُهَا. فَكَانَ ذَلِكَ الإعْلاَنُ صَفْعَةً لِلْمُحْتَفِلِينَ الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّ الجَزَائِرَ أَصْبَحَتْ فَرَنْسِيَّةً. فَرَدَّت عَلَيهِم جَمْعِيَّةُ العُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِشِعَارِهَا الْمَشْهُورِ: **"الإِسْلاَمُ دِينُنَا، الجَزَائِرُ وَطَنُنَا، العَرَبِيَّةُ لُغَتُنَا"**.

صُهَيْب: يَا لَهُ مِن شِعَارٍ جَمِيلٍ! يُثْلِجُ الصَّدْرَ، فَمَنْ هُوَ صَاحِبُ الفِكْرَةِ فِي تَأْسِيسِ هَذِهِ الجَمْعِيَّةِ؟ وَمَا غَايَتُهَا، يَا جَدَّتِي؟

الجَدَّة: صَاحِبُ الفِكْرَةِ فِي تَأْسِيسِ هَذِهِ الجَمعِيَّةِ هُو العَلاَّمَةُ عَبدُ الحَمِيدِ بنُ بَادِيس، أَمَّا غايتُها، يَا أَبْنَائِي، فَهُوَ تَقْوِيمُ وإِصْلاَحُ مَا أَفْسَدَهُ الْمُسْتَدْمِرُ.. فَالعَلاَّمَةُ آمَنَ بِأَنَّ العَمَلَ الأَوَّلَ لِمُقَاوَمَةِ هَذَا الْمَارِدِ الْجَبَّارِ الْمُتَغَطْرِسِ، والقَضَاءِ

عَلَيهِ لاَ يَتَحَقَّقُ إِلاَّ بِإِصْلاَحِ مَا أَفْسَدَهُ... وهَذَا لاَ يَتَحَقَّقُ إِلاَّ بِتَحْرِيرِ الضَّمَائِرِ والعُقُولِ الَّتِي اسْتَولى[1] عَلَيْهَا بِخُبْثِهِ، ودَهَائِهِ.

كاميليا: وكَيْفَ أَمْكَنَ الْجَمْعِيَةُ فِعَلَ ذَلِكَ؟

أَضَافَ صهيب: وَمَا هِيَ الوَسَائِلُ الَّتِي اعْتَمَدَت عَلَيْهَا؟

الجَدَّة: لِعِلْمِكُمْ، يا أَبْنَائِي، أَنَّ الإِرَادَة تُحَقِّقُ الْمُسْتَحِيلَ، ولاَ مُسْتَحِيلَ إِذَا عَزَمَ الْمَرءُ عَلَى النُّهُوضِ؛ فلَمَّا بَلَغَ الظُّلْمُ أَوْجَهُ خَرَجَ عَبد الحَمِيد بنُ بَادِيس مِن عَرِينِهِ، فَنَادَى عَلَى أَصْحَابِهِ، فَهَبُّوا مُلَبِّينَ النِّدَاءِ... فَانْتَخَبَتْهُ الجَمعِيَّةُ رَئِيسًا لَهَا، مَعَ أَنَّهُ كَانَ غَائِبًا، والبَشِير الاِبرَاهِيمِي نَائِبًا لَهُ؛ فَانْضَمَّ تَحْتَ لِوَاءِ الْجَمعيَّة

1- اسْتَوْلَى: أخذ بالقوة.



كَوكَبَةٌ مِن الرِّجَالِ الأَفْذاذِ.

رجاء: مَا هُو هَدَفُ الجمعِيَّة، يَا جَدَّتِي؟

الجَدَّة: كَانَت الجمعِيَّة تَهدِفُ إِلَى إِحْيَاءِ فَرِيضَتَيْن، هُمَا الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، والنَّهْيُ عَن الْمُنْكَرِ؛ لِأَنَّهُمَا مَرْجِعَ الفَضَائِلِ وَمبْعَثُهَا، وَذَلِك بِتَأْسِيسِ النَّوَادِي، وَالْمَدَارِسِ العَرَبِيَّة، والْمَسَاجِدِ، وَرَفعِ القُيُودِ عَنِ الدِّينِ الإِسْلَامِي، وحُرِّيَة

الصَّحَافَة، و....

كاميليا: وهَل تَجَاوَبَ الجَزَائِرِيُّونَ مع الجَمْعِيَّة، يَا جَدَّتِي؟

الجَدَّة: أَجَل، يَا بُنَيَّتِي، وجَدَتِ الجَمعِيَّة مِن الشَّعبِ الجزَائِرِيّ التَّجاوُب، والحَمَاسَ الْمُنْقَطِعَ النَّظِيرِ دَاخِلَ الوَطَنِ، وخَارِجَهُ، للتَّعَاوُنِ مَعَهَا عَلَى تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا؛ انْضَمُّوا إِلَى الجَمْعِيَّةِ أَفْواجًا، أَفْواجًا، فأَغْدقُوا عَلَيْهَا التَّبَرُّعَاتِ، والْمُسَاعَدَاتِ الْمَالِيَّةَ والْمَادِّيَةَ، ووَهَبُوهَا الْمَبَانِي والأَرَاضِي لِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، وَالْمُؤَسَّسَاتِ التَّعلِيمِيَّة، وتَجْهِيزِهَا...

وبِتَضَافُرِ الجُهُودِ أَسَّسَتِ الجَمْعِيَّةُ مَدَارِسَ، ومَسَاجِدَ كَثِيرَةً، وَوَاصلَتْ مَسِيرَتَها الإِصْلاحِيَة، رَغْمَ الصُّعُوبَات والعَرَاقِيلِ الَّتِي كَانَ العَدُوُّ يَتَفَنَّنُ فِي وضْعِهَا مِنْ أَجَلِ إِيقَافِ نَشَاطِهَا.

صهيب: إِنَّ ابن باديس رَجُلٌ عَبقَرِيٌّ، وذَكِّيٌّ!

الجدَّة: نَعم، يَا بُنَيَّ، إِنَّه شَخْصِيَّة نادِرةٌ، ثار بأفكاره الإِصْلاَحِيَّة ضِدَّ المُحْتَلِّ الطَّاغِي، فكَانَ يُواجِهُ الصِّعَابَ، ولا يُبَالِي؛ آمَنَ بِأَنَّ مُسْتَقْبَلَ الأُمَّةِ مُتَوَقِّفٌ عَلَى العِلْمَ، فبَدَأَ بالجِهَادِ الأَوَّلِ، ألا وهُوَ مُحارَبَةُ الجَهْلِ، والأُمِّيَةِ، قَبلَ مُحارَبَةِ العَدُوّ، ورَفْعُ القَلَم قَبْلَ السِّلاَحِ، فَكَرَّسَ حَيَاتَهُ لِلعِلْمَ والْمَعْرِفَه، فَحَرَّكَ العَزَائِمَ الخَامِلَةَ، وهَزَّ الضَّمَائِرَ المَيِّتَة، وَأَيْقَظَ القُلُوبَ النَّائِمَةَ، وحَرَّرَ العُقُولَ الجَامِدَةَ.. فَتَوَحَّدَتِ كَلِمَةُ الشَّعْبِ، وتَكَاتَفَتِ الْجُهُودُ كَالبُنْيَانِ الْمَرصُوصِ.

رجاء: كَمْ دَامَ نَشَاطُ الْجَمْعِيَّةِ، يا جَدَّتِي؟

الجدّة: دَامَ نَشَاطُها عِدَّةَ سَنَوَاتٍ.

كاميليا: وهَلْ حَقَّقَتِ الجَمْعِيَّةُ مَا أَرَادَتْ؟

الجدّة: بَذَلَتْ كُلَّ مَا فِي وُسْعِهَا لِمُحَارَبَةِ الْجَهْلِ، والبِدَعِ، وَبَنَتِ الْمَدَارِسَ وَالْمَسَاجِدَ لِتَعْلِيمِ أَبْنَاءِ الجزَائِرِيِّينَ لُغَتَهُمْ ودِينَهُم وَتَارِيخَهُم، كَمَا نَشَرَتِ الوَعْيَ الدِّينِيَّ والوَطَنِيَّ فِي أَوْسَاطِهِم فَلَمَّا انْدَلَعَتِ الثَّوْرَةُ الْمُسَلَّحَةُ شَدَّدَ العَدُوُّ عَلَيْها الخِنَاقَ، وَتَعَرَّضَ أَعْضَاؤُها لِلسِّجنِ، والتَّعذِيبِ، والإِعْدَام، فَتوقَّفَ نَشَاطُها، وانْضَوَى ما تَبَقَّى من أَعْضَائِها، ومُؤيِّدِيها، وأَتْبَاعِها تَحْتَ رَايَةِ جَبْهَة، وجَيْشِ التَّحْرِيرِ الوَطَنِيَّين لِمُحَارَبَةِ الْعَدُوّ بالنَّارِ، والحَدِيدِ.

كاميليا: وأَينَ هُو الآنَ العَلاَّمَةُ عبدُ الحميد بنُ بَاديس؟

أجَابَتِ الجدّة وهِيَ تَبْتَسِمُ: هُو الآنَ فِي ذِمَّةِ

اللهِ، يَا أَبْنَائِي؛ لَقَدْ فَارَقَنَا يَومَ 16 أفريل 1940م بِمَسْقَطِ رَأْسِهِ قَسَنطِينَة... ويُقَالُ: إنّهُ مَاتَ مُتَأَثِرًا بِالسُّمِ، واللهُ أَعْلَم.

رجاء: إِذَنْ 16 أفريل يُوَافِقُ ذِكْرَى وَفَاة العَلاَّمَة اِبنِ بَادِيس.

الجَدَّةُ بِابْتِسَامَةٍ عَرِيضَة: نَعَمْ.

صُهيْب: مِسْكِينٌ عَبدُ الحَمِيد، مَات!

الجَدَّة: يا بُني، لاَ تَقُل عَنْهُ مِسْكِينٌ، فَعَبدُ الحَمِيدِ بنُ بَاديس مَاتَ، ولَكِنّه لَمْ يَمُتْ كَمَا تَمُوتُ المَلاَيِين مِن البَشَرِ؛ لأَنَّ حياة المَرْءِ لا تُقَدَّرُ بالسَّنوات الَّتي يقْضِيهَا في الوُجُودِ، وإنَّما بمَا يُحْدِثُه فيهَا من أَعْمالٍ، تُخَلِّدُ ذِكْرَهُ. كَمَا يَقُولُ المَثَلُ العَامِّيُّ الجَزَائِرِيّ: فِيهِ المَيِّتُ المَذْكُورُ، والحَيُّ المَحْقُورُ أي: المَنْسِي؛ فَعَبْدُ الحميد بن بادِيس مَا

زَالَ حَيًّا بِذِكْرِه؛ رَحَلَ عَنْ عَالَمِنَا بِجَسَدِهِ، تَارِكًا ورَاءَهُ أَعْمَالاً جَلِيلَةً، ومُثْمِرَةً، ورِجَالاً أَوفِيَاءَ أَقْوِيَاءَ أَشِدَّاءَ، اِسْتَلَمُوا منه المِشْعَلَ، ووَاصَلُوا المَسِيرَةَ، رَغْمَ التَّنْكِيلِ وَالتَّعْذِيبِ، وَرَغْمَ النَّفْيِ، والاِضْطِهَادِ مِنْ قِبَلِ المُسْتَدْمِرِ إِلَى أَنَ تَحَرَّرَتِ الجَزَائِر مِن بَرَاثِنِ الاِحتِلاَلِ الفَرَنْسِيّ، وعَادَ الحَقُّ إلى أَهْلِهِ، يَاأَعِزَّائِي. لَقَدِ اِنْتَقَلَ عَبدُ الحَمِيدِ بنُ بَادِيسَ إِلَى جِوَارِ رَبِّهِ مُنذُ عَشَرَاتِ السِّنِينَ، أَمَّا اسْمُهُ فقَدْ بَقِيَ يُذْكَرُ إلى يَوْمِنَا هَذَا، وسَيَبْقَى خَالِدًا تَتَدَاوَلُهُ أَلْسِنَةُ الأَجْيَالِ، وكُلَّمَا ذُكِرَ اسْمُهُ نَتَرَحَّمُ عَلَى رُوحِهِ الطَّاهِرَةِ مَهْمَا طَالَ الزَّمَنُ... لَقَدْ خَلَّدَتْهُ أَعْمَالُهُ الجَلِيلَةُ التِّي قَدَّمَهَا مِن أَجْلِ الدِّينِ والوَطَنِ.

كاميليا: ولِمَاذَا اقْتَرَنَ اِسْمُهُ بِيَومِ العِلمِ؟

أَضَافَتْ رجَاء: ولِمَاذا اخْتِيرَتْ ذِكْرَى وَفَاتِهِ للاِحتِفَالِ بِيَوْمِ العِلْمَ؟

الجَدَّة: لاَ تنْسَوْا، يَا أَبْنَائِي، أَنَّهُ شَنَّ حربًا عَلَى الأُمِّيَة، والجَهلِ، وهُوَ بَاعِثُ الصَّحْوَة، وقَائِدُ النَّهْضَةِ الجَزَائِرِيَّةِ. كَانَ يُحِبُّ الْعِلمَ، ويُؤْمِنُ بِهِ. ونَذَرَ نَفْسَه لطَلبِهِ، ونَشْرِه، وحَارَبَ البِدعَ، والخُرَافَاتِ، وحَارَبَ التَجْنِيسِ، والاِنْدِمَاجَ، وقَاوَمَ حَرَكَة التَّنْصِير، وأَخَذَ عَلَى عَاتِقِهِ تَرْبِيَةَ الأَجْيَالِ فِي الْمَدَارِسِ؛ فَأَنَارَ بَصِيرَةَ[1] آلاَفٍ مِن الشُّبَّانِ الجَزَائِرِيِّين، وكَشَفَ عَن عُقُولِهِم غَمَامَةَ الجَهلِ، مَع أَنَّهُ كان بإمْكَانه أَن يَعِيشَ مُوظَّفًا مُحْتَرَمًا بِمَا كَانَ عِنْدَه مِن مُؤَهَّلاَت عِلْمِيَّة، وما كانت تَحْظَى بِهِ أسْرتُه مِنْ مَرْكَزٍ مَالِيٍّ، واجْتِماعيّ كَبِيرينِ،

1- بَصِيرَةَ: قوّة الإدراك والفطنة ناقد إلى خفايا الأمور.

لَكِنَّهُ آثَرَ وَطنَهُ عَلى نَفْسِه، فَوَفَّى العَلاَّمَة بِعَهدِهِ، وكَرَّسَ حَيَاتَهُ لنشْرِ العِلمَ، والْمَعْرِفَةِ، مِن غيرِ مُقَابِل مادّيّ.

صهيب: ولَكِن، يَا جَدَّتِي، كَيفَ اسْتَطَاعَ ذَلِكَ؟ ومَا هِي الوَسَائِل التِّي اسْتعمَلَهَا لِيَسْتَعِينَ بِهَا فِي نَشْرِ أَفْكَارِهِ النَّيِّرَة؟

الجَدَّة: كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى عِدَّةِ وَسَائِل، كَمَا ذَكَرْتُ لَكُم سَابِقًا، كَانَ يَعْمَلُ إِمَامًا، ومُدَرِّسًا، ومُرَبِّيًا، وصَحَافِيًّا. وجَنَّدَ أَصْحَابَهُ لِنَفسِ الغَرَضِ، فَانْتَشَرُوا فِي رُبُوعِ الوَطَن يُعَلِّمُونَ، ويُوَعُّونَ، ويُحَارِبُونَ البِدَعَ، والخُرَافَات...

رجاء: إِذًا، يَا جَدَّتِي، هُو مُجَاهِد بِقَلَمِهِ، ولِسَانِهِ؟

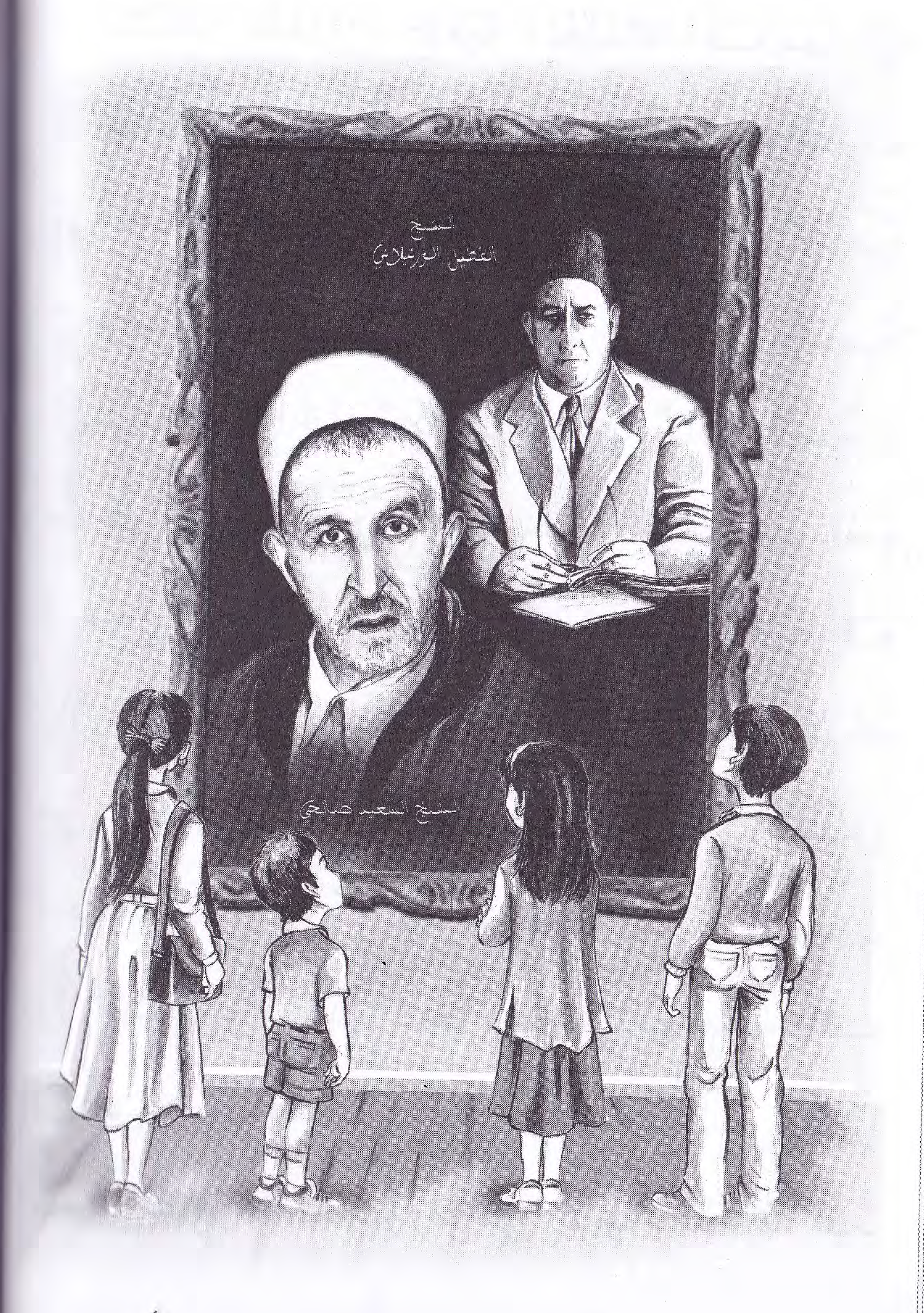
الجَدَّة: أَجَل، يَا بُنَيّتِي، العُلَمَاءُ الْمُصْلِحُونَ

مُجَاهِدُونَ، وسِلاَحُهُم العَقْلُ والقَلَمُ، واللِّسَانُ؛ حَارَبَ العَدُوَّ بِالقَلَمِ وبِاللِّسَانِ، ومَن كَانَ يَجْرُؤُ في ذلِك العَهْد عَلَى قَولِ كَلِمَةِ الْحَق؟ هَاجَمَ فَرَنسَا، وفضَحَ أَسَالِيبهَا الاسْتِعمَارِيَّة، وجَاهَرَ بِأَنَّ حُكْمَهَا حُكمٌ اسْتِبدَادِي جَائِرٌ غَيرُ إِنْسَانِيّ، وَحَارَبَ فِكْرَةَ الانْدِمَاجِ، والتَّجنِيس، وهُو صَاحِبُ الْمَقُولَةِ الْمَشْهُورَة الَّتي أَصْبَحت شِعَارَ جَمعِيَّة العُلَمَاءِ المُسْلِمين الجَزَائِرِيِّين: **"الجَزَائِرُ وَطَنُنَا، والعَرَبِيَّةُ لُغَتُنَا، والإِسْلاَمُ دِينُنَا"**

صهيب: وهَلْ نَجَحَ مَشرُوعُهُ، يَا جَدَّتِي؟

الجدّة وهي تَضْحَكُ: إِنّكَ تَسْأَلُنِي لِلمَرَّة الثَانِيَّة هَذَا السُّؤَال، يَا بُنَيَّ، فلا بأسَ في ذلك، "فِي الإِعَادَةِ إِفَادَة" أَجَلْ، قَد أَتَتْ دَعْوَتُه ثِمَارَهَا،

فانْتَشَرَت مَدَارِسُ جمعية العُلَمَاء الْمُسْلِمِين فِي الْمُدُنِ الكُبْرَى، وفِي القُرَى والْمَدَاشِرِ، وامْتَدَّتْ إِلَى الجَالِيَةِ الْمُغْتَرِبَةِ الجزائرية فِي عُقْرِ دَارِ العَدُوّ -فَرَنسَا- ومِن الرُّوَّادِ الَّذِينَ أوفدَتْهم الجمعيّة لنشْرِ أفكَارِ الجمْعِيَّة في أَوْسَاطِ الجَالية السَّعِيد صَالِحِي، ونُخْبَة مِنَ الأسَاتِذَة والْمُرَبِّين، بِرِئَاسَة الشَّيخ الفُضَيْل الورْثِلاني؛ فَبِفَضْلِ عَزْمِ هَؤُلاَءِ الرِّجَال الأَفْذَاذ انتشَرَ الوَعْيُ، واسْتَفَاقَتِ الأُمَّةُ مِن غَفْلَتِهَا، فَتَوَحَّدَت صُفُوفُهَا، ووَقَفَ الشَّعبُ الجَزَائِرِي وقفَةَ رجُلٍ وَاحِدٍ، ضِدَّ الظُّلمَ والطُّغيَانِ والاِستِبدَادِ، وضِدَّ التَّنصِيرِ والاِندِمَاجِ، وكَانَتِ الأغْلَبيّة مِن الشَّعبِ الجَزَائِرِيّ تَحْفَظُ عَن ظَهرِ قَلبٍ القَصِيدَةَ الْمَشْهُورَةَ الَّتِي كَتَبَهَا العَلاَّمَةُ عبد



الحميد بن باديس؛ تُرَدِّدُهَا بِعِزَّةٍ، وَافْتِخَارٍ.

شَعْـبُ الجَزَائِرِ مُسْلِـمٌ وإِلَى العُـرُوبَةِ يَنْتَسِـب

كاميليا: إِنَّهَا كَلِمَاتٌ رَائِعَة، مُثِيرَةٌ ومُؤَثِّرَة نَابِعَةٌ من صَمِيمَ الْقَلْبِ، مُفْعَمَةٌ بالْوطَنِيَّةِ، وَبِالشُّعُورِ والإحْسَاسِ الصَّادِقِ والحَمَاسِ القَوِيِّ، إِنَّهُ حَقًّا يُعَدُّ شَخْصِيَّةً وَطَنِيَّةً نَادِرَةً، وَبَطَلاً مِنَ أَبْطَالِ العُرُوبَةِ والإِسْلاَم.

صُهيب: يَا لَهُ مِن رَجُلٍ عَبْقَرِيّ فَذٍّ!

الجَدَّة: نَعَم، بِصِدْقِ حَدِيثِهِ لَمَسَ قلوبَ الجَمَاهِيرِ، وبسحرِ عِباراته نفذَ إِلَيها، فَعَبَّأَهَا، وشَحنَهَا بِحُبِّ الدِّين والوَطَنِ، وبالإِصْلاَحِ والتَّجْدِيدِ، وبالتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمَ، وَنَبْذِ حَيَاةِ الذُّلِّ والْهَيْمَنَةِ والْهَوَانِ، فلَمَّا تَشَبّعت بِهذِه

الأفْكَار، تَحَرَّكَت عُقُولُهَا، وَاسْتَنَارَت، واسْتَيْقَظَت ضَمَائِرُها النَّائِمَةُ، وَاهْتَزَّتْ مَشَاعِرُها الوَطَنِيَّة، فصَارَتْ وَقُودًا للثَّوْرَة. فلَمَّا نَادَى المُنَادِي لِلْجهَادِ لَيْلَةَ غُرَّةِ نُوفَمبر 1954م كَانَتِ الأُمَّة الجَزَائِرِيَّة حِينَئِذٍ مِنْ شَرْقِهَا إِلَى غَربِها، ومِن شَمالِها إِلَى جَنُوبِها مُهَيَّأَةً لِحَمْلِ السِّلاح كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، وعَقَدَتِ العَزْمَ على تَحْرير الجَزَائِر..

صهيب: إِنَّ رِجَالَ حَرَكَةِ الإِصْلاحِ رِجَالٌ مُخْلِصُونَ وَاجَهُوا العَدُوَّ بِذَكَاءٍ، وبِحِكْمَةٍ، فَمَهَّدُوا الطَّرِيقَ لِلكِفَاحِ المُسَلَّح. لَمْ يَلِينُوا وَلَمْ يَسْتَكِينُوا، فوَفَّقَهُمُ الله، فِيمَا كَانُوا يَأْمَلُونَ.

كاميليا: إِنَّهُ مِشْوَارٌ طَوِيلٌ، مَلِيءٌ بِالْمَآسِي، ضَحَّوا بِالنَّفْسِ والنَّفِيسِ، لِاسْتِرجَاعِ مَا سُلِبَ

مِنْهُمْ، ومَا اغْتُصِبَ لنَعيشَ كُرمَاء سُعَدَاء، رَحِمَهُم الله، وأَسْكَنَهُم فَسِيحَ جِنَانِهِ.

الجَدَّة: عَلَيكُمْ، يَا أَبْنَائِي، أَن تُحَافِظُوا عَلَى هَذَا الوَطَنِ الغَالِي بالتَّسَلُّح بِالعِلمَ، لأَنَّ العِلمَ نُورٌ، وسِلاَح جبَّارٌ، فَمَنْ كَانَ مُتَعَلِّمًا لاَ يَقَعُ فَرِيسَةً سَهْلَةً لِلعَدُوّ، فَعُيُونُ الأَعْدَاءِ مَازَالَت مُحَدِّقَة بِنَا، لا سِيَّمَا ونَحنُ فِي عَصْرِ التِّكنُولُوجيَا، فَالوَسَائِلُ مُتَعَدِّدَة والأَسَالِيبُ مُتَنَوِّعَة. انْتَبِهُوا، الْحَذَر، ثُمَّ الْحَذَرَ مِمَّا يُقَدِّمُونَهُ لَنَا، إِنَهُم أَذْكِيَاء.. يَنفُذُونَ إِلَى القُلُوب بِطُرُقٍ سِحرِيَّة، ويَسلِبُونَ العُقول بِذَكَاءٍ خَارِقٍ. عَلَيْنَا أَن نَعمَلَ جَمِيعَنَا بِوَصِيَّة الشَيخ أَحمَدْ لونِيسِي، نَطلبُ العِلْم لِلعِلمَ، لِنَرفَعَ مِن شَأنِ أُمَّتنَا.

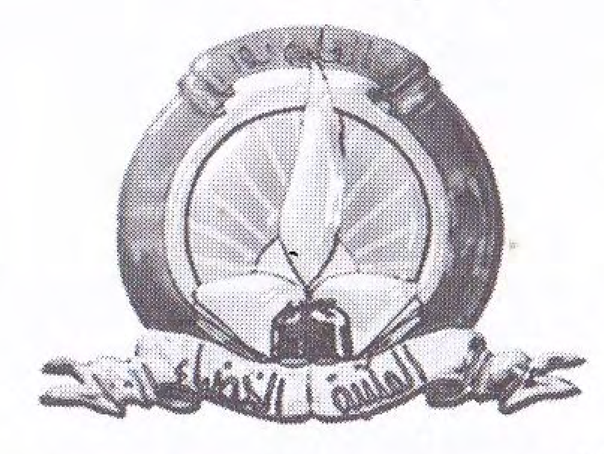
الأَحفَاد: سَنَعْمَلُ، يَا جَدَّتِي، لِنَكُونَ قُدوَةً لغيْرِنا، كعَبدِ الحَمِيدِ بن بَادِيس، وأَمثَالِهِ مِن الرِّجَالِ الأَوفِيَاءِ المخْلِصِينَ للدِّينِ والوَطَن، لأنّه بِالعِلمَ والعَمَل تَسْعَدُ وتَرقَى الأُمَمُ.

سلسلة ثمن الحرية

يوم العلم

وعبد الحميد بن باديس





المكتبة الخضراء

للطباعة والنشر والتوزيع

١١ شارع الزواوة الشراقة الجزائر

www.bverte.net

شَعْبُ الجزائرِ مُسْلِمٌ

شَعْبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ *** وَإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ
مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِه *** أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبْ
أَوْ رَامَ إِدْمَاجًا لَهُ *** رَامَ الْمُحَالَ مِنَ الطَّلَبْ
يَا نَشْءُ أَنْتَ رَجَاؤُنَا *** وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدِ اقْتَرَبْ
خُذْ لِلْحَيَاةِ سِلاَحَهَا *** وَخُضِ الْخُطُوبَ وَلاَ تَهَبْ
وَارْفَعْ مَنَارَ الْعَدْلِ وَالإِحْسَا *** نِ وَاصْدِمْ مَنْ غَصَبْ
وَأَذِقْ نُفُوسَ الظَّالِمِيـ *** ـنَ السُّمَّ يُمْزَجُ بِالرَّهَبْ
وَاقْلَعْ جُذُورَ الْخَائِنِيـ *** ـنَ فَمِنْهُمُ كُلُّ الْعَطَبْ
وَاهْزُزْ نُفُوسَ الْجَامِدِيـ *** ـنَ فَرُبَّمَا حَيِيَ الْخَشَبْ
يَا قَوْمُ، هَذَا نَشْؤُكُمْ *** وَإِلَى الْمَعَالِي قَدْ وَثَبْ
كُونُوا لَهُ يَكُنْ لَكُمْ *** وَإِلَى الأَمَامِ ابْنٌ وَأَبْ
نَحْنُ الأُلَى عَرَفَ الزَّمَـ *** ـانُ قَدِيمَنَا الْجَمَّ الْحَسَبْ
وَمَعِينُ ذَاكَ الْمَجْدِ فِي *** نَسْلِ الْعُرُوبَةِ مَا نَضَبْ
وَقَدِ انْتَبَهْنَا لِلْحَيَا *** ةِ آخِذِينَ لَهَا الأُهَبْ
لِنَحُلَّ مَرْكَزَنَا الَّذِي *** بَيْنَ الأَنَامِ لَنَا وَجَبْ
فَنَزِيدُ هَذَا الْوَرَى *** عُضْوًا شَرِيفًا مُنْتَخَبْ
نَدْعُو إِلَى الْحُسْنَى وَنُو *** لِي أَهْلَهَا مِنَ الرَّغَبْ
مَنْ كَانَ يَبْغِي وُدَّنَا *** فَعَلَى الْكَرَامَةِ وَالرَّحَبْ
أَوْ كَانَ يَبْغِي ذُلَّنَا *** فَلَهُ الْمَهَانَةُ وَالْحَرَبْ
هَذَا نِظَامُ حَيَاتِنَا *** بِالنُّورِ خُطَّ وَبِاللَّهَبْ
حَتَّى يَعُودَ لِقَوْمِنَا *** مِنْ مَجْدِهِمْ مَا قَدْ نُهِبْ
هَذَا لَكُمْ عَهْدِي بِهِ *** حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَبْ
فَإِذَا هَلَكْتُ فَصَيْحَتِي *** تَحْيَا الْجَزَائِرُ وَالْعَرَبْ

الشيخ عبد الحميد بن باديس

المكتبة الخضراء
للطباعة و النشر و التوزيع
1 أ شارع الزواوة الشراقة الجزائر
E-mail:contact@bverte.net/ www.bverte.net

